ذكرياتي مع الأوفياء

عمو بابا.. أزمة نفسية أرهقته في المانيا.. ونكسة لوس انجلوس لم تهدد حياته!

بقلم/ د.عبد القادر زينل

الحلقة الرابعة

الذكريات.. روافد تصب في مسار الحياة.. يسقط منها ما قد يؤثر سلبا في المسار.. ويترسب منها في وعاء الذاكرة ما يؤثر ايجابا في مسارنا الطويل فيتحقق ما يقوله الشاعر: (ان الذكريات هي معنى العمر في هذه الحياة).. وفي سواقي الذاكرة رجال ساهموا بهذا القدر او ذاك في بناء شخصيتنا وتحديد نهجنا ومستقبلنا.. نرفعهم في بيارق الذاكرة وفاء لهم ولما قدموه.. هذا الوفاء هو الرابط الانساني الذي يبقى يذكرنا بالمقولة: (من علمني حرفا ملكني عبداً) الى هؤلاء جميعا احني رأسي احتراماً والى ذكراهم اقدم لهم كلماتي التي يحكيها القلب والضمير.

مع المنتخب الوطني في تصفيات دورة سيئول عام ١٩٨٨

انسان ناجح وطيب.. يقلقه البعد عن الوطن

اختلاف الرؤى مع عمو لم يفسد الوئام بيننا

عمو بابا

تمتد علاقتي مع المرحوم عمو بابا الى مدة طويلة جداً، وتوطدت وتعمقت أكثر حينما ترشحنا سوية من قبل وزارة الشباب للمشاركة في دورة تدريبية دولية بكرة القدم أمدها ثمانية اشهر في المانيا عام ١٩٧٢- ١٩٧٣ .

كان برنامج الدورة اليومي مكثفاً في حصصه ، حيث الجانب العملي أولا والمحاضرات النظرية المختلفة والعديدة ثانيا ، لذلك تحتم علينا ان نلتقي بأستمرار في المعهد الذي ندرس فيه والمعروف بأسم (DHFK) وهو مختصر (المعهد العالي للتربية الرياضية والبدنية الالمانية) الذي يستحق أن نتطرق اليه فيما بعد ، لأهميته في تطوير الرياضة العراقية من خلال تخريجه عدداً كبيراً من الملاكات الاكاديمية والتدريبية والادارية ساهمت بشكل فعّال في توسيع آفاق الرياضة العراقية.

لقاءات يومية روتينية جمعتني بعمو بابا ، صباحا في الحصة التدريبية وبعدها نتلقى الدروس النظرية التي تستغرق ساعات عدة ومساء يتجدد اللقاء ايضا حيث إقامتنا في القسم الداخلي ، فلابد من خلال هذا الاحتكاك ان نواجه مواقف متباينة عدة منها ايجابية وسلبية ومتوقعة ومفاجئة ، إضافة الى الناحية السيكولوجية غير المستقرة التي يسببها بعدنا عن الوطن والحنين اليه والى الاقارب والاصدقاء لاننا في بلد غريب .

هذه الحالة النفسية المضطربة تحدث احيانا بين المجموعة في السفرات القصيرة فما بالك إذا كانت مدة الدورة او الدراسة تمتد لأشهر طوال؟

حقا ان الدراسة في البلدان المتقدمة لها من المزايا والفوائد التي لا تعد ولا تحصى من جوانب كثيرة وإحداها الحصول على الناحية العلمية الاكاديمية لان هناك ايجابيات اخرى للدراسة في الخارج ، لا تقل أهمية بنظري عن اكتساب المعرفة منها السعي والاستفادة من ثقافات وحضارات تلك الدول ، وأساليبهم التربوية في التعامل الانساني وطرق تنفيذ التعليمات والنظم التي لها علاقة مباشرة مع الناحية الإدارية المرتبطة بالجوانب الفنية ، ويخطى من يعتقد ان الجانب الفني وحده هو الذي يحقق الانجاز الرياضي ، إذ لابد من أعطاء الجانب الاداري دوره المؤثر والكبير في نجاح العملية التدريبية.

فبعد مدة من وصولنا الى ألمانيا تعرض المرحوم عمو الى وعكة صحية سببت له بعض الحالات النفسية غير المستقرة حيث كان كثير التفكير والقلق بأية حالة مرضية تصيبه حتى لو كانت بسيطة واستمرت هذه الظاهرة معه الى ان وافاه الاجل رحمه الله .

وفي إحدى زيارتنا له للاطمئنان على صحته كان معي المرحوم قاسم حسن الذي كان يعد اطروحة الدكتوراه في المعهد نفسه الذي كنا ندرس فيه حيث طلب منا عمو مفاتحة مدير شؤون الدارسين الأجانب لاستحصال موافقته على تخصيص سكن له خارج نطاق القسم الداخلي لانه مريض ويحتاج الى راحة اكثر .

وقد اعتذر المسؤول المعني عن طلبنا معللاً بان حالته الصحية مستقرة وأنها لا تحتاج إلى ذلك ، حيث الاهتمام والعلاج قائم بالشكل المطلوب ، ومن منطلق الحرص على تلبية رغبته كررنا طلبنا باعادة النظر في الموضوع لان المريض كان لاعبا متميزا ومدربا معروفا وله مكانة في بلده و ..و.. فنظر ألينا محتداً وقال : إن عمو بابا كغيره من الدارسين ربما يكونون في بلدانهم مستثنين عن غيرهم بامتيازات معينة أما الآن فهو بالنسبة لنا طالب ؟ ونظرتنا للجميع نظرة واحدة من دون أي امتياز وهذا نظام إعتدنا عليه منذ تأسيس المعهد بعد فترة من انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى الان !

لقد كانت لتلك الكلمات الدقيقة والمختصرة مغزى مهماً ودرساً مضافاً استفدنا منه كثيراً في عملنا المهني سواء الإداري أو التنظيمي ..أن الالتزام بالنظام والمعايير الثابتة بعيداً عن الخصوصيات والعاطفة يعدان قمة العطاء.

مشكلة عمو بابا مع كلمش!

جرت العادة في المعهد وبعد بداية كل دورة تدريبية جديدة التي يصل عدد المدربين فيها أحيانا الى ٢٥ مدرباً أو أكثر إن يتم تشكيل منتخب كروي للمعهد من الدارسين ولكون المعهد معروفاً بمستواه الأكاديمي على مستوى العالم فان أغلب المدربين المشاركين في تلك الدورات هم ممن يمتلكون مهارات ولياقة بدنية جيدة وانهم من متوسطي الاعمار ليتمكنوا من تنفيذ الجانب العملي الذي أمده من ساعة ونصف الى ساعتين يوميا ، وفعلا كان هناك من بين المشاركين أفارقة ذوو مستويات عالية!

لذلك فان اختيار منتخب للمعهد لم يكن سهلا لوجود هذا الكم من المستويات الفنية العالية المتقاربة وقد فوجئنا بان عمو ينتقد المدرب كلمش المسؤول عن كرة القدم في المعهد بسبب عدم اختياره ضمن منتخب الكلية وقد أستغرب كلمش خصوصاً بعدما احتدمت المشكلة في حين انها لا تستحق ذلك!

وكما لمسنا ان الذين تم اختيارهم من المدربين لمنتخب المعهد هم اكثر مقدرة واداء من غيرهم لأنهم من متوسطي الاعمار إضافة الى إمكاناتهم الفنية الفردية والجماعية، وبالتأكيد ان اعتراض عمو في عدم اختياره ضمن الفريق لم يأت اعتباطاً بدليل شغفه وحبه لكرة القدم وثقته بنفسه برغم كبر سنه وعدم اكتمال لياقته البدنية لأنه كان قد اعتزل اللعب ويشكو من إصابة سابقة حدثت له في إحدى مباريات المنتخب الوطني المشارك في الدورة الرياضية العربية التي جرت وقائعها في مصر وبرغم كل ذلك كان يعتقد انه يستطيع اللعب وقادراً على العطاء وهذه صفة من صفات الحرص التي كان يتمتع بها.

الطالب المجتهد

يستحق أن نطلق على المرحوم عمو بابا صفة – الطالب – المجتهد لأنه كان جديا في الدراسة ويعتبر من الجيدين وان نجاحه في الجانب التدريبي هو امتداد لصفة الجدية مذ كان لاعبا وعندما اصبح مدربا وبعدها رجع معنا إلى الحياة الطلابية !

وعلى الرغم من مرضه لفترات متقطعة الا انه كان مواظبا في دراسته وملتزما في كل الشؤون التي تخص الجانب التحضيري أو الاختباري وكان يفضل الدراسة والمطالعة لوحده دائما!

السفر مرآة الإنسان

أن السفر بأيامه القليلة يكتشف نفسية الانسان وصفاته فكيف إذا كانت السفرة طويلة والإقامة في مكان واحد ومقعد دراسي مجاور وملعب كرة قدم مشترك؟

هذا ما عشته مع زميل الدراسة والمهنة عمو بابا شهورا عدة ونحن سوية نتقابل صباحا وظهرا ومساءً فمن المؤكد ان تظهر هناك ايجابيات وسلبيات ومن صفاته الايجابية انه يمتلك قلبا طيبا خاصة عندما تكون معه أو قريباً منه ، وبعض ممن كانوا معنا في تلك الدورة من الاخوة العراقيين كان عددهم ١٣ مدرباً لمختلف الألعاب كان لقسم منهم وجهات نظر أخرى لأسباب عدة منها التعاون والتقارب والتسامح وكل ما له علاقة وارتباط في الجوانب الاجتماعية المهمة.

كل ذلك التباين والاختلاف في وجهات النظر كنا كما هو معروف عن العراقيين وطيبتهم نلتقي دائما على الوئام متناسين ما حدث في وقت سابق وهذه هي صفة العراقيين ومنهم المرحوم عمو الذي اعتبره صديق المهنة الشاقة التي كثيراً ما اختلفنا بسببها وكان الاتفاق في النهاية يصب في مصلحة ا لر يا ضة لان اختلاف الرؤى لم يكن بدافع شخصي!

عموبابا وعبد القادر زينل اثناء دورة المانيا

DHFK

قبل ان اطوي ذكريات الدورة التدريبية لا بد من ان اعرّج على معلومات تعريفية للقارئ عن المعهد (DHFK) وهو اسم تردد كثيراً في الأوساط الرياضية العديدة لمختلف القارات حيث انه أحد اكبر المعاهد الرياضية على مستوى العالم ومقره في ألمانيا مدينة – لا يبزك – الأثرية بكثرة جامعاتها ومكتباتها العلمية والثقافية إضافة الى معرضها الدولي السنوي المشهور .

إن المعهد استقطب العديد من الرياضيين الأبطال للحصول على المعلومات والتقنيات العلمية الأكاديمية والتدريبية وان الانجازات الكبيرة التي حققتها ألمانيا في الاولمبياد كانت وفق خطط وبرمجة المناهج التدريبية التي يتم إعدادها من قبل أجهزة الرياضة العلمية في المعهد (DHFK) الذي كان الرافد للأبطال الاولمبيين لمختلف الألعاب الذين تسيدوا منصات الفوز وحصدوا الماليات الذهبية والفضية والبرونزية.

أن نسبة كبيرة جدا من خيرة الرياضيين العراقيين وأبطالها قد تخرجوا من هذا المعهد بعد أن نالوا الشهادات العليا وكذلك المشاركة في الدورات التدريبية لمختلف الألعاب، وشغلوا اغلب المسؤوليات والمهام الرياضية سواء في الكليات والمعاهد المتخصصة والمؤسسات العسكرية (الجيش والشرطة) والاتحادات والأندية الرياضية إضافة الى اللجنة الاولمبية ووزارة الشباب والرياضة.

لماذا استغني عن عمو بابا في لوس انجلوس؟

كثرت الإشاعات المتباينة آنذاك عن الأسباب التي ادت الى إبعاد عمو عن المنتخب الوطني المشارك في دورة لوس انجلوس الاولمبية عام ١٩٨٤ وانه أحيل الى لجنة تحقيقية من اجل معاقبته الى درجة تحدث البعض عن مصير غامض يهدد حياته !

وقبل أيام وعن طريق حديث عابر لأحد الإخوان الذي يتابع حلقات (المدى الرياضي) هذه سألني عن الاسم الذي سأكتب عنه في الحلقة القادمة وأخبرته بانها ستكون عن المرحوم عمو ، عندها قال انه على اطلاع من مصدر موثوق أن المنتخب الوطني في الاولمبياد المذكور تعرض لإهمال متعمد من قبل احد لاعبي المنتخب البارزين آنذاك لغرض إفشال مهمة المدرب عمو!

وبما اني كنت قريباً من المنتخب الوطني وأحداثه بصفتي أمين السر العام لاتحاد كرة القدم ومدير المنتخبات الوطنية ، ومن منطلق ذكر الحقائق وهي أمانة ندلي بوقائعها :

أولاً – أن قرار الاتحاد العراقي لكرة القدم لم يتضمن تشكيل لجنة تحقيقية ضد عمو بابا ، بل الاستغناء عنه في تدريب المنتخب.

ثانياً – ان سبب الاستغناء عنه للنتائج المتردية في الاولمبياد وخروج المنتخب من الدور الاول بعد تعادل وخسارتين منها مباراتنا مع منتخب يوغسلافيا الاولمبي التي انتهت بخسارتنا ٢-٤ بعدما كنا متقدمين ٢ – صفر.

ثالثاً – لا صحة مطلقاً من أن احد اللاعبين البارزين تعمد الإهمال لغرض شخصي .

تغمدك الله برحمته الواسعة يا أبا سامي فقد كنت الصديق وزميل المهنة الواحدة (كرة القدم) التي كنت وفيا لها وقدمت من خلالها العديد من الانجازات الكروية الى العراق عندما كنت لاعباً متميزاً ومدرباً كفوءاً وطالباً مجتهدا ، وها نحن نتذكرك بالخير وفاءً لك ولكل الراحلين رحمهم الله ممن قدموا خدمات جليلة للعراق ، فعراقنا يستحق الكثير وينتظر من المخلصين الشرفاء ما هو أكثر.

×محاضر في الاتحادين الدولي والآسيوي